بحث عام | قسم الدراسات الدينية | 06 سبتمبر 2016

حوار الأديان من منظور نظريّة التجليّات الصوفيّة

فرعون حمو
باحث جزائري

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
مؤسسة دراسات وأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2016
All rights reserved © 2016

الملخص.

حوار الأديان والحضارات والثقافات أضحى وحده هو «مشروع الأمل» وفق توصيف الفيلسوف الفرنسي روجي غارودي[1]، بل إنّه «ليس في مسألة الحضارة اليوم أهم من الحوار بين الأديان»[2] على حد تقرير المفكر ووزير الخارجية اللبناني الأسبق إيلي سالم.

وإذا كان التصوف هو عمق الإسلام وجوهره، فإنّ عقيدة التجلّيات الصوفية - وبعد التقصّي الجينيالوجي الأنتروبولوجي- تُعتبر هي جوهر التصوف وعُلبته السّوداء، وتُمثل أوَج ما وصل إليه الفكر العرفاني والصوفي في الإسلام، على يد منظرها وشيخها الأكبر محيي الدين ابن عربي الحاتمي الأندلسي (560هـ 1165م- 638هـ 1240م).

فهل يمكن أن تدرج نظرية التجليات الصوفية ضمن البدائل والخيارات الإستراتجية في سياسات المعرفة وفي حوار الأديان والحضارات والمصالحة بين الثقافات، وهل يمكن لها أن تشكل منطلقًا عقائديًا علميًا عمليًا أنتروبولوجيًا تأسيسيًا يساعد على الخروج من نفق الهويات المغلقة، ومن كهوف الإيديولوجيات الدينية الميتة والمُميتة التي تعاني منها البشرية في الوقت الراهن.

ــ **إشكالية البحث**: هل يمكن أن تدرج نظرية التجليات الصوفية ضمن البدائل والخيارات الإستراتجية في سياسات المعرفة وفي حوار الأديان والحضارات والمصالحة بين الثقافات، وهل يمكن لها أن تشكل منطلقًا عقائديًا علميًا عمليًا أنتروبولوجيًا تأسيسيًا يساعد على الخروج من نفق الهويات المغلقة، ومن كهوف الإيديولوجيات الدينية الميتة والمُميتة التي تعاني منها البشرية في الوقت الراهن؟؟؟

ــ **منهجية البحث**: المنهج الاستقرائي.

ــ **مخطط محاور البحث**:

- توطئة.
- إطلالة على نظرية التجليات الصوفية.
- عقيدة التجلي وحوار الأديان عند الأمير عبد القادر الجزائري.
- خلاصة.

1- روجي غارودي، في سبيل حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا، عويدات للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة 1999م، ص 15

2- إيلي سالم، دورة ورؤية، مركز الدراسات الإسلامية المسيحية، جامعة البلمند، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، 1996م، ص 36

توطئـــة.

الظاهر أنّ التراجيديا الإنسانية قد بلغت في التدرج أوج مِحنَتِها، ووصلت في التدحرج إلى قاع انحطاطها، وأضحت تُغرد على لسان مُفكريها واستراتيجييها وإعلامييها دراميات صدام الحضارات وسرديات نهايات التاريخ، وأصبحت التهديدات النووية والإيكولوجية والإرهابية هَمًّا عالميًّا مؤرقًا، والتطرف والكراهية والاستئصال واقعًا عيانيًّا، والقصور والتقصير في التواصل والتعارف الإنساني واضحًا فاضحًا، والتعايش السلمي والحوار بين الأديان والثقافات باهتًا خافتًا.

ففي زمن الاحتباسات الحضارية والاحترابات الدينية والطائفية، وفي عهد فوضى الانتماءات، وعصر انبعاث الهويات المَيتة والمُميتة، ماذا يُمكن أن يُقدمه البراديغم الصوفي اليوم للبشرية؟ ما هي الخيارات والأجهزة المفهومية والمفاهمية الجدية والجديدة التي يمكن أن يُبشر بها؟.

هل يُمكن أن تساعد نظرية التجليات الصوفية على إيجاد حلول واقعية عملية لمشاكل الإنسان الراهنة؟ ما هي الإضافات النوعية التي تستطيع أن تُغني بها هذه العقيدة منظومة القيم الفكرية الإنسانية العالمية العليا؟ ما البدائل التي تجترحها نظرية التجلي الصوفية لإنقاذ الإنسان من ألغام الدوغمائيات وإخراجه من كهوف الأرثوذوكسيات وتحريره من سجون المركزيات الدينية والإثنية؟ ما هي وصفات هذه النظرية وتوصيفاتها لإطفاء مواقد حروب الثقافات وإعادة ترتيب موائد صراع الهويات؟ ما هي المداخل الإجرائية النظرية والتنظيرية لتحقيق حوار الأديان والمذاهب والعقائد والحضارات؟ خاصة أنّ النخب المثقفة في الدوائر والمراكز العلمية العالمية قد توشَّح وترَسّخ في وعيها أنّ حوار الأديان والحضارات والثقافات هو وحده «مشروع الأمل»، وفق توصيف الفيلسوف الفرنسي روجي غارودي[1] أو على حد تشخيص المفكر ووزير الخارجية اللبناني الأسبق إيلي سالم «ليس في مسألة الحضارة اليوم أهم من الحوار بين الأديان»[2].

وبحسب الرؤية الصوفية تكون عقيدة التجليات هي العقيدة القرآنية الإسلامية الجامعة، وما عداها فهي عقائد حصرية تقييدية تشتيتية، أو هي بالنتيجة إيديولوجيات دينية صنعتها عقول الفقهاء والمتكلمين من رجال الدين أو موظفي التقديس كما كان يسميهم ماكس فيبير *Max Weber*، ووفق التصور الصوفي التجلياتي، الخلق كلهم لهم معرفة بربهم على قدر استعدادهم ومراتبهم، لكن ميزة العارفين من الصوفية أنّ علومهم هي تحققٌ بالتجليات الإلهية في الأنفس والآفاق، معارفهم هي معرفةٌ للحق بالحق في الحق، والحق مطلق في ذاته وفي تجلياته، ومن هنا جاءت عقيدتهم في الله مطلقة غير محصورة، بل منزهة حتى عن الإطلاق، لأنّ الإطلاق أيضًا عندهم تقييدٌ بالإطلاق، ولذلك هم يشاهدون الحق الذي مع كل دين ومع كل طائفة، ويعلمون القصور والجهل الذي عند أهل الحصر والتقييد من أهل الأديان وأهل الطوائف، وبسبب هذا تجد العارفين

1 روجي غارودي، في سبيل حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا، عويدات للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة 1999م، ص 15

2 إيلي سالم، دورة ورؤية، مركز الدراسات الإسلامية المسيحية، جامعة البلمند، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، 1996م، ص 36

يشاهدون كل العقائد وينفتحون عليها ومعها، يقول الناطق الرسمي باسم عقيدة التجليات الصوفية الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي الحاتمي الأندلسي

عقد الخلائق في الإلـــه عقائدا *** وأنا شهدت جميع ما اعتقدوه[3]

وقال

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة *** فمرعى لغزلان وديـر لرهبان

وبيـــت لأوثان وكعبة طائـف *** وألواح توراة ومصحف قرآن

أديـن بدين الحب أنّـى توجهت *** ركائبه فالحب ديني وإيماني[4]

وقال الأمير عبد القادر الجزائري عن عقيدة التجليات الجامعة[5]

أنا الحب والمحـب والحـب جملة *** أنا العاشق المعشوق سرًا وإعلانا

ففي أنا كـــل ما يؤمله الـــورى *** فمن شاء قرآنًا ومن شاء فرقانا

ومن شاء توراة ومن شاء إنجيلاً *** ومن شاء مزمارًا زبورًا وتبيانا

ومن شاء مسجـدًا يناجيه ربـــه *** ومن شاء بيعة ناقوسًا وصلبانا

ومـن شاء كعبـة يقبل ركنـــــها *** ومن شاء أصنامًا ومن شاء أوثانا

ومـن شـاء خلوة يكن بها خاليًا *** ومـن شـاء حانة يغزل غزلانا

ففي أنـا ما قد كـان أو هو كائن *** لقد صـح عندنا دليـلاً وبرهانا

---

3 ابن عربي، الفتوحات المكية، تصوير دار صادر بيروت عن طبعة بولاق، القاهرة، سنة 1293 هـ. الباب الخامس والثلاثون وثلاثمائة في معرفة منزل الأخوة وهو من الحضرة المحمدية والموسوية.

4 محي الدين ابن عربي، ترجمان الأشواق، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1425هـ -2005م، ص 62

5 الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، تحقيق عاصم إبراهيم الكيلاني، دار الكتب العلمية، 2004م1425هـ، ج1، ص 38. وحول تصوف الأمير عبد القادر الجزائري يمكن مراجعة كتاب جواد المرابط، التصوف والأمير عبد القادر، وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007. وكتاب عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق محمد بهجة البيطار، الطبعة الأولى، 1961م، وكتاب يوسف النبهاني، جامع كرامات الأولياء، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، مركز أهل سنة بركات رضا (الهند)، الطبعة الأولى، 2001م، 1322هـ.

ومن نماذج التسامح والتواصل الديني عند الصوفية ما قام به الصوفي الكبير الأمير عبد القادر الجزائري عندما أنقذ ما يربو على خمسة عشر ألف مسيحي من القتل في الفتنة التي اشتعلت في دمشق بين الدروز والنصارى سنة 1860م، ووقف متحديًا جموعًا هائجةً مندفعةً لقتلهم ودوى بصوته قائلًا: «إنّ الأديان وفي مقدمتها الدين الإسلامي أجل وأقدس من أن تكون خنجر جهالة أو معول طيش أو صرخات بذالة تدوي بها أفواه الحثالة من القوم... أحذركم من أن تجعلوا لسلطان الجهل عليكم نصيبًا، أو يكون له على نفوسكم سبيلاً»[6].

وبعد تلك الحادثة يكاتب أسقف الجزائر بافي *Louis-Antoine-AugustinPavy* الأمير عبد القادر شاكرًا له صنيعه فيجيبه الأمير برسالة يقول له فيها ما خلاصته "ما فعلناه من خير للمسيحيين، ما هو إلاّ تطبيق لشرع الإسلام واحترام لحقوق الإنسان، لأنّ كل الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله. إنّ كل الأديان من آدم إلى محمد عليهما السلام تعتمد على مبدأين: تعظيم الله جل جلاله والرحمة بمخلوقاته، وما عدا هذا ففرعيات ليست بذات أهمية كبيرة. والشريعة المحمدية، من بين كل الشرائع، هي التي تعطي أكبر أهمية للاحترام والرحمة والرأفة وكل ما يعزز التآلف وينبذ التخالف، لكن المنتسبين للدين المحمدي ضيّعوه فأضلهم الله، فجزاؤهم من جنس عملهم[7].

ومن نماذج التسامح والتواصل الديني عند الصوفية أيضًا ما روى أنّه لما خرجت جنازة مولانا جلال الدين الرومي ازدحم عليها أهل بلده، وشيعها حتى النصارى واليهود وهم يتلون الإنجيل والتوراة، وكان المسلمون ينحونهم فلا يتنحون، وبلغ ذلك حاكم البلد قونيه، فقال لرهبانهم: مالكم ولجنازة عالم مسلم فأجابوه: «به عرفنا حقيقة الأنبياء السابقين، وفيه رأينا سيرة الأولياء الكاملين»[8].

فعقيدة التجلي الصوفية في تقريراتها ونتائجها الأخيرة هي عقيدةٌ وهويةٌ عَبرَ- دينية *trans-religieuse* عابرة للملل والنحل والمعتقدات، تتفق مع كل الأديان ومع كل المعتقدات التي عرفها الناس، إسلامية كانت أو يهودية أو مسيحية أو غير ذلك، وتتجاوزها جميعًا في الوقت نفسه.

وفي تمثيل نظرية التجليات الصوفية سوف أختصر وأقتصر هنا على شخصيتين اثنتين، باعتبارهما ممثلين رائدين بارزين لهذه العقيدة، الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي الحاتمي الأندلسي (560هـ 1165م- 638هـ 1240م)، وعلى ومترجمه وناشر علومه الأمير عبد القادر الجزائري (1222هـ 1807م- 1300هـ 1883م).

6 جواد المرابط، الأمير عبد القادر والتصوف، وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، ص 46

7 مجلة مسالك، العدد الثاني، جوان جويلية 1998، ص 21

8 عبد الباقي مفتاح، نظرة الأمير عبد القادر إلى الآخر، مجلة أديان، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، العدد الأول 2011م، ص 79

إطلالة على نظريـــة التجليات الصوفية.

الرائـــج عن التصوف أنّه نظرية زهدية تقشفية، أو رؤية فرارية وانزوائية عن المجتمع وعن الواقع، لكن عند الباحثين المحققين ليس التصوف فقط نسكًا وزهدًا وبُعدًا عن ومن الحياة، بقدر ما هو - وقبل كل شيء - رؤية لله وللعالم *weltanschauung*، ونظرية تفسيرية الكون والإنسان، فـالتصوف أو العرفان كما يقرّر المفكر محمد عابد الجابري هو «نظام معرفي ومنهج في اكتساب المعرفة ورؤية للعالم وأيضًا موقف منه»[9]، و«هناك في الظاهرة العرفانية جانبان متمايزان، العرفان كموقف من العالم، والعرفان كنظرية لتفسير الكون والإنسان مبدئهما ومصيرهما، وعلى الرغم من أنّ الجانبين مترابطان ومتلازمان بحيث يبدو العرفان كموقف تتويجًا للعرفان كنظرية، ويبدو العرفان كنظرية تأسيسًا كموقف»[10].

على الرغم من أنّه قد يتداول في بعض الأوساط الدينية والإعلامية التي ترفع شعار السلفية، أنّ التصوف تراث ديني سابق عن الإسلام، ويتناولونه بمعول البدعة والضلالة، وربما التكفير والإخراج من الملة، لكن مراجعة عابرة للقرآن الكريم تؤكد أنّ علم التزكية (الذي سمي فيما بعد بالتصوف) هو علم قرآني محض، ورد ذكره تصريحًا وتلميحًا في الكثير من آيات الذكر الحكيم، في أكثر من 67 مرة بمشتقاته، منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ **وَيُزَكِّيهِمْ** وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ»[11] وقوله تعالى «رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ **وَيُزَكِّيهِمْ** إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»[12]، وقوله تعالى «كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا و**يُزَكِّيكُمْ** وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ»[13]، وقوله تعالى «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ و**يُزَكِّيهِمْ** وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ»[14]. فهذه الآيات وأمثالها تؤكد أنّ وظائف الأنبياء والرسل كانت عبر التاريخ هي إيصال علم خاص هو علم التزكية للبشر، بل إنّ الله تعالى في القرآن الكريم قد اشترط ورهن وربط الفلاح والنجاح والجنة بوجوب المرور عبر التزكية علمًا وتطبيقًا، قال تعالى «قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ»[15]، وقال «قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا»[16]، وقد يدعي الفقهاء ورجال الدين من أهل الظاهر العلم بالكتاب والشريعة، لكنهم لا يستطيعون ادعاء الإحاطة بتفاصيل علم التزكية، ووحدهم هم الصوفية الذين يدعون ذلك، فعلم التزكية والتصوف كما يعرفه ابن خلدون هو «رعاية حسن الأدب مع

9 الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثامنة، 2002م، بيروت، الدار البيضاء، 1995م، ص 251
10 نفسه، ص 254
11 سورة آل عمران الآية 164
12 سورة البقرة الآية 129
13 سورة البقرة الآية 151
14 سورة الجمعة الآية 2
15 سورة الأعلى الآية 14
16 سورة الشمس الآية 9

الله في الأعمال الباطنة والظاهرة، بالوقوف عند حدوده مقدّمًا الاهتمام بأفعال القلوب»[17]، أو هو «رعاية حسن الأدب مع الله في الأعمال الباطنة والظاهرة، بالوقوف عند حدوده مقدّما الاهتمام بأفعال القلوب»[18]، و«التصوف في نفسه علم شريف - كما يقول عنه الحافظ جلال الدين السيوطي - وأنّ مداره على اتباع السنة وترك البدع والتبري من النفس وعوائدها وحظوظها وأعراضها ومراداتها واختياراتها، والتسليم لله والرضى به وبقضائه وطلب محبته واحتقار ما سواه، كما قال الغزالي «التصوف تجريد القلب لله واحتقار ما سواه»[19]، ويصف الإمام أبو إسحاق الشاطبي حال الصوفية وحال مخالفيهم» فيظن الظان أنّهم شدُّوا على أنفسهم، وتكلّفوا ما لم يُكلفوا ودخلوا على غير مدخل أهل الشريعة، وحاشا لله! ما كانوا ليفعلوا ذلك وقد بنوا نحلتهم على اتباع السنة وهم باتفاق أهل السنة صفوة الله من الخليقة»[20]، ويوضح الشاطبي أنّ «كثيراً من الجهال يعتقدون أنّهم متساهلون (الصوفية) في الاتباع وأنّ اختراع العبادات والتزام ما لم يأت في الشرع التزامه مما يقولون ويعملون عليه، وحاشاهم من ذلك أنْ يعتقدوه أو يقولوا به، فأول شيء بنوا عليه طريقتهم اتبّاع السنة واجتناب ما خالفها»[21]، ويجعل الشاطبي الصوفية مراجع للأمة لأخذ تعاليم الدين الإسلامي عنهم في الأصول والفروع يقول «الصوفية الذين نُسِبت إليهم الطريقة مُجمعون على تعظيم الشريعة، مقيمون على متابعة السنة، غير مخلين بشيء من آدابها، أبعد الناس عن البدع وأهلها، ولذلك لا نجد منهم من ينسب إلى فِرقة من الفرق الضالة، ولا من يميل إلى خلاف السُّنة. وأكثر من ذُكِر منهم علماء وفقهاء ومحدثون، وممن يؤخذ عنه الدين أصولاً وفروعاً، ومن لم يكن كذلك فلابد له من أن يكون فقيهاً فى دينه بمقدار كفايته»[22]، حتى ابن تيمية الحراني الذي تُقدمه بعض دوائر الإعلام الديني الاسلامي على أنّه العدو الأول للتصوف، في لحظة صفاء ووفاء منه يُقر ويَشهد أنّ أهل التصوف متبعون وملتزمون بالكتاب والسنة اتباعًا لا مخالفة فيه ولا انحراف، يقول «جمهور الأمة وأهل الحديث والفقه و**التصوف** فعلى ما جاءت به الرسل وما جاء عنهم من الكتب والإثارة من العلم وهم المتبعون للرسالة اتباعًا محضًا لم يشوبوه بما يخالفه»[23].

وبهذه الشهادات وغيرها، واستقراءً لمصادر الإسلام وحفرًا في نصوصه يكون التصوف في معناه الأبعد يمثل عمق الإسلام وجوهره، أو هو التحقق بمقام الربانية القرآني «لَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ

17 عبد الرحمن ابن خلدون، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر سوريا، الطبعة الأولى، 1417هـ، 1996م، ص 54

18 نفسه، ص 54

19 الحافظ جلال الدين السيوطي، تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية، تحقيق عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2006م، بيروت، ص 45

20 الشاطبي، الموافقات، كتاب الأحكام، تحقيق عبد الله دراز ومحمد عبد الله وعبد السلام محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة السابعة، 2005م، ج4 ص 174

21 أبو إسحاق الشاطبي، الاعتصام، الدار الأثرية، الطبعة الثانية، 2007م، ج 1، ص ص 147-148

22 نفسه، ج1، ص ص 165-166

23 ابن تيمية، مجموع الفتاوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1421هـ، 2000م، ج12، ص 36. فابن تيمية هنا لا يقر فقط بشرعية التصوف بل أكثر من ذلك يعترف بالتزام الصوفية لطريق الشرع.

الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ»[24]، أو هو بمعنى آخر التحقق بمقام الإحسان، أعلى (وأسمى) مقام في الدّين الإسلامي بعد مقامي الإيمان والإسلام، وفق منطوق المدونة الاصطلاحية الرّسمية الإسلامية ومفهومها، أو على حد استنتاج الباحث الفرنسي المقتدر روني غينو *René Guénon* «التصوف ليس أبدًا شيئًا "مضافًا" إلى الدين الإسلامي، أي ليس هو شيئًا أتى من الخارج فألصق بالإسلام، وإنّما هو بالعكس جزء جوهري من الدين، إذ أنّ الدين بدونه يكون غير مكتمل كما هو واضح، بل يكون حينئذ ناقصًا من جهته العليا، أعني جهة مبدئه الأساسي، لذلك كانت افتراضات غير مبررة تلك التي تزعم أنّ أصل التصوف أجنبي عن الإسلام، وهو يوناني أو فارسي أو هندي»[25]. وعلى عكس ما هو منتشر في الوعي والمخيال الديني السلفي، من أنّ الصوفية هم أهل ضلالة وبدعة وابتداع، وليس لهم أدلة تؤسس معتقداتهم، فإنّ الباحث إذا تجرد موضوعيًا، وحاول جرد أدلة الصوفية على عقيدتهم في التجليات الإلهية وجدها تتأسس كلها على النص وتستشهد به، قرآنًا وسنة صحيحة.

وإجمالاً وعلى مستوى النص القرآني والحديثي يُمكن التأصيل المبدئي لعقيدة التجلي الصوفية من خلال الاستشهاد بقوله تعالى في سورة الأعراف الآية 143 «فَلَمّا تَجَلّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسى صَعِقاً» فمنطوق هذه الآية ومفهومها على تأكيد عقيدة تجلي الله تعالى إمكانًا وواقعًا، وبما ورد في الصحيحين:

ـ في صحيح البخاري: كتاب الإيمان باب قول الله تعالى (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَّاظِرَةٌ)... ثم **يتجلّى** حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النّار من كان لا يشرك بالله شيئًا"[26].

ـ في صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنّة منزلة فيها، عن جابر بن عبد الله أنّ النّبي عليه السّلام قال: «ثم يأتينا ربّنا بعد ذلك فيقول من تنظرون؟ فيقولون ننظر ربّنا، فيقول أنا ربّكم، فيقولون حتى ننظر إليك، **فيتجلى** لهم يضحك»[27].

---

24 سورة آل عمران الآية 79

25 *«Le soufisme n'est pas quelque chose de surajouté, mais l'essence de l'Islam, La supposition toute gratuite d'une origine étrangère, grecque, perse ou indienne, est d'ailleurs contredite formellement par le fait que les moyens d'expression propres à l'ésotérisme islamique sont étroitement liés à la constitution meme de la langue arabe», L'Esotérisme islamique, Article paru dans Cahiers du Sud, 1947, p. 153-154*

26 محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار ابن كثير، سنة النشر: 1414هـ - 1993م، ورواه الإمام أحمد في مسنده رقم الحديث: 7727، ورواه ابن القيم في زاد المعاد1/396، رواه الطبراني في المعجم الأوسط، وأبو عاصم في كتاب السنة، والدارقطني في كتاب الرؤية، ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق.

27 مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، سنة الطبع 1374هـ، ج4 ص454

وعلى الرغم من أنّ التجلي الإلهي عند شيخ الصوفية الأكبر محي الدين ابن عربي الحاتمي الأندلسي «دائم لا حجاب عليه ولكن لا يعرف أنّه هو»[28]، إلا أنّه يشرحه قائلاً «التجلي عند القوم ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب، وهو على مقامات مختلفة. فمنها: ما يتعلق بأنوار المعاني المجردة عن المواد من المعارف والأسرار، ومنها: ما يتعلق بأنوار الأنوار، ومنها: ما يتعلق بأنوار الأرواح وهم الملائكة ومنها ما يتعلق بأنوار الرياح... فكل نور من هذه الأنوار إذا طلع من أفق ووافق عين البصيرة سالماً من العمى والغشي والصدع والرمد وأفات الأعين، كشف بكل نور ما انبسط عليه، فعاين ذوات المعاني على ما هي عليه في أنفسها، وعاين ارتباطها بصور الألفاظ والكلمات الدالة عليها، وأعطته بمشاهدته إياها ما هي عليه من الحقائق في نفس الأمر من غير تخيل ولا تلبيس»[29]، كما يجعل ابن عربي عقيدة التجليات أهم علوم الحقائق وأعظمها وعنده «مدار العلم الذي يختص به أهل الله تعالى على سبع مسائل من عرفها لم يعتص عليه شيء من علم الحقائق وهي معرفة أسماء الله تعالى، ومعرفة التجليات، ومعرفة خطاب الحق عباده بلسان الشرع، ومعرفة كمال الوجود ونقصه، ومعرفة الإنسان من جهة حقائقه، ومعرفة الكشف الخيالي، ومعرفة العلل والأدوية»[30]، وفي تحليل الدكتورة سعاد الحكيم لفظ التّجلّي في اصطلاح ابن عربي «يتسرب إلى كل البنيان الفكري لشيخنا الأكبر، ويتداخل مع نظرياته كافة، بل هو العماد الذي يبنى عليه فلسفته في وحدة الوجود، إذ بالتجلّي يفسر الخلق- وكيفية صدور الكثرة عن الوحدة دون أن تتكثر الوحدة الوجودية، والمعرفة العلمية الصّوفية...وسَنُفَرِّع التّجلّي إلى شقّين، نسميها أسوة بالجامي التّجلّي الوجودي، والتّجلّي الشّهودي، أو بالعلمي العرفاني.

- التجلي الوجودي: إنّ العلم بأسره هو صور التّجلّي الإلهي من حيث الاسم الظّاهر، إنّ الحق يتجلّى في الأشياء، أي يظهر فيها فيمنحها بهذا التّجلّي الوجود. وهذا التّجلّي دائم مع الأنفاس في العالم، واحد يتكثّر في مظاهره لاختلاف استعداد المتجلّي فيه، يقول ابن عربي «له تعالى التّجلّي الدّائم العام في العالم على الدّوام، وتختلف مراتب العالم فيه لاختلاف مراتب العالم في نفسها، فهو يتجلّى بحسب استعدادهم»[31].

- **التجلي الشّهودي** أو العلمي العرفاني: إنّ التّجلّي هنا يتصل بطبيعة المعرفة من حيث أنّه نوع من أنواع الكشف، يفني المتجلي له، ويورثه علماً، بل لا يصحّ العلم بالله عند ابن عربي إلا عن طريقه، وهو واحد يتنوع باستعداد المحلّ، يقول ابن عربي «لم يبق العلم الكامل إلاّ في التّجلّي الإلهي وما يكشف الحق عن أعين البصائر والأبصار من الأغطية فتدرك الأمور قديمها وحديثها، على ما هي عليه في حقائقها وأعيانها»[32] «التجلي...ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب»[33]، كما يُبين الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي

28 ابن عربي، الفتوحات المكية، تصوير دار صادر بيروت عن طبعة بولاق، القاهرة، سنة 1293هـ، الباب السابع والسبعون ومائة في معرفة مقام المعرفة. ج4، ص 456

29 نفسه، ج2، ص 485

30 نفسه، ج3، ص 34

31 نفسه، ج2، ص 556

32 ابن عربي، فصوص الحكم، تحقيق أبو العلاء عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1980م، ص 133

33 سعاد الحكيم، المعجم الصوفي الحكمة في حدود الكلمة، دندرة للطباعة والنشر، 1981م، ص ص 258 - 259

أيضًا أنواع التجليات فقال «التجليات ضروب شتى يجمعها الفناء والبقاء، فمن طلب تجلي الفناء لم يدر ما طلب، لأنّ الحق يعطي التجلي ويعطي فيه فإذا أفناه التجلي لم يدر ما يُعطى فيه»[34]، ويقول «تجلى سبحانه تجلياً عاماً إحاطيّاً، وتجلى تجلياً خاصاً شخصيّاً. فالتجلي العام تجل رحماني، وهو قوله تعالى «الرَّحْمَنُ عَلى الْعَرْشِ اسْتَوى»»[35]

و في مقدار التّجليات: يقول الشّيخ الأكبر ابن عربي «ما يشير إليه الطائفة من أنّ الحقّ يتجلّى على قدر استعداد العبد، وهذا ليس كذلك، فإنّ العبد يظهر للحقّ على قدر الصّورة التي يتجلى له فيها الحق، وتحرير هذه المسألة أنّ لله تجليين: تجلّ غيبي، وتجلي شهادة، فمن تجلّي الغيب يعطي الاستعداد الذي يكون عليه القلب، وهو التّجلّي الذّاتي الّذي الغيب حقيقته، وهو الهوية التي يستحقها بقوله عن نفسه (هو) فلا يزال (هو) له دائماً أبداً فإذا حصل له – أعني للقلب – هذا الاستعداد تجلّى له التّجلّي الشّهودي في الشّهادة فرآه فظهر بصورة ما تجلّى له كما ذكرناه، فهو تعالى أعطاه الاستعداد بقوله «**أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ**»[36] ثم رفع الحجاب بينه، وبين عبده، فرآه في صورة معتقده، فهو عين اعتقاده. فلا يشهد القلب ولا العين أبداً إلاّ صورة معتقده في الحق... فالحقّ الّذي في المعتقد هو الّذي وسع القلب صورته، وهو الّذي يتجلّى له فيعرفه. فلا ترى العين إلا الحق الاعتقادي"[37].

حوار الأديان وعقيدة التجلي عند الأمير عبد القادر الجزائري.

قبل دعوات الحوار الصادرة من الأمم المتحدة، وقبل الملتقيات الدولية والإقليمية في العصر الحديث حول الحوار بين الأديان والحضارات والثقافات، كان الأمير عبد القادر الجزائري ومن معتقله في مدينة بو *Pau* الفرنسية من أوائل الشخصيات التاريخية في العالم، وفي قلب القرن 19 يطرح فكرة الحوار ويخوض غمارها مع أشهر ممثلي الأديان في ذلك الوقت[38].

وفي نص تبشيري مركز واعد، يُصرّح الأمير الجزائري بنبرة احترافية استشرافية واثقة، بأنّه يستطيع رفع الخلاف الكبير الواقع بين النصارى واليهود والمسلمين، بل نجد الأمير يؤكد بأنّه يستطيع أن يُصَّير

34 محي الدين ابن عربي، كتاب الكتب، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، حيدر أباد الدكن، 1367هـ، 1948م، ص 47

35 ابن عربي، الفتوحات المكية، دارصادر، بيروت، تصوير دار صادر بيروت عن طبعة بولاق، القاهرة، سنة 1293هـ، الباب السابع والعشرون وثلاثمائة في معرفة منزل المد والنصيف من الحضرة المحمدية.

36 سورة طه الآية 50

37 ابن عربي، فصوص الحكم، تحقيق أبو العلاء عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1980م، ص ص 120 - 121

38 *"nous allons nous attarder sur trios visiteurs en particulier avec lesquels va s'instaurer un véritable dialogue religieux: le premier est le protestant genevois Charles Eynard, le second est l'ancien évêque d'Alger MgrDupuch et, enfin, le troisième est le catholique royaliste Alfred de Falloux, représentant à la Chambre Législative. En plein coeur du XIXe siècle, ces rencontres vont installer l'émir Abd el-Kader comme le vecteur et l'initiateur d'un dialogue fécond entre l'Islam et le Christianisme"-, Ahmed bouyerdene, L>émir Abd el-Kader à Pau: exemples d>un dialogue religieux au XIXe siècle», article dans StudiaIslamica, février 2001.*

هؤلاء إخوانًا أخوة ظاهرة وباطنة، لكنه يضع ثلاثة شروط من أجل الوصول إلى هذا المبتغى التصالحي التوافقي بين الأديان والطوائف والحضارات.

أولاً الإصغاء إليه، ثانيًا الفهم عنه، ثالثًا الصدق في طلب الحق، تلك هي الشروط الثلاثة التي يضعها الأمير عبد القادر الجزائري من أجل الوصول إلى حوار حقيقي وإلى حل توافقي بين أهل الأديان يقول الأمير «ولو أصغى إليّ المسلمون والنصارى لرفعت الخلاف بينهم ولصاروا إخوانًا ظاهرًا وباطنًا.... ولو جاءني من يريد معرفة طريق الحق وكان يفهم لساني فهمًا كاملاً لأوصلته إلى طرق الحق من غير تعب، لا بأن يقلدني بل بأن يظهر الحق له حتى يعترف به اضطرارًا[39]».

فعوائق رفع الخلاف وتحقيق الأخوة الظاهرة والباطنة بين الأديان وكافة المجموعات العقائدية يتحدد حسب رؤية الأمير في عدم إصغاء بعضهم لبعض، وفي سوء فهم بعضهم بعضًا، وفي غياب الصدق في طلب الحق مع بعضهم بعضًا، هذا من ناحية الأساليب وطرق التفاهم، أما من ناحية المضامين والمحتويات، وبالرجوع إلى ما كتبه الأمير خاصة في كتابه المواقف[40] يتأكد لدينا أنّه يشير ويقصد في نصه بـ«فهم لسانه» وبـ«طريق الحق» نظريته في التجلي وأسرارها[41].

في أجواء الحوار بين الأديان وكمبدأ أولي يعلن الأمير أنّ الخلق كلهم يعرفون الله ولو بوجه من الوجوه لأنّ «المعرفة بالله ثابتة فإنّ الله ما خلق الخلق إلا ليعرفوه فلابد أن يعرفه الخلق ولو بوجه ما»[42]، كما لا ينفي الأمير المعرفة بالله عن سائر أهل الأديان باعتبار «إلهنا وإله كل طائفة من الطوائف المخالفة لنا واحد وحدة حقيقية، كما قال في آي كثيرة «وإلهكم اله واحد»، وقال «وما من إله إلا الله»[43]، ويتأول الأمير قوله تعالى «وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه»[44] أي حكم(حكمًا قاطعًا متحققًا لا يتخلف)، فما خلقهم إلا ليعرفوه، فلابد أن يعرفوه المعرفة الفطرية التي فطر الله الناس عليها، فالحق ما جهله أحد من هذا الوجه، وحكم أن لا يعبدوا إلا إياه، فلا يعبدون أبدًا سواه، لأنّ حكمه نافذ لا يرد ولا يغالب»[45]، عند الأمير قول القائل لأهل الأديان الأخرى «ليس ربك كما اعتقدت، ولا هو هذا المتجلي، فأنت مخطئ من كل وجه، هذا محال صدوره من

39 الأمير عبد القادر، رسالة إلى الفرنسيين (ذكرى العاقل وتنبيه الغافل)، تحقيق الأستاذ عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، 2006، ص 46. والكتاب في الأصل رسالة بعث بها الأمير إلى الجمعية الآسيوية بباريس بتاريخ 14 رمضان سنة 1271هـ 1855م لما كان في بروسة بتركيا.

40 الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، تحقيق عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2004م، 1425هـ.

41 فهم لسان نظرية التجلي صعب جدًا على غير المتخصصين فيها لأنّ خطابها أولاً هو خطاب مُرمزٌ مُشفرٌ واستتاري *ésotérique* وثانيًا هو يقع خارج دائرة العقل الأرسطي المحكوم بمبدأ الثالث المرفوع.

42 الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، ج2، ص 372

43 سورة آل عمران الآية 62

44 سورة الإسراء الآية 23

45 الأمير عبد القادر، المواقف الروحية، الموقف التاسع، ج1، ص 55

العارف حقيقة المعرفة، لوقوف العارف مع العين الجامعة للاعتقادات، وهي العين الواحدة حضرة الأسماء الربية الإلهية، التي تفرعت منها جميع الفروع الأسمائية، التي هي سبب اختلاف الاعتقادات، كالطرق الكثيرة المتوجهة إلى المدينة مثلاً، فليس منها طريق إلا وهو متوجه إلى المدينة ومنتهاه إليها»[46].

لكن هذا الإله الأعظم المطلق الذي يعتقد به وفيه الأمير عبد القادر ظهر متقيدًا ومتجليًا عند كل أصحاب الأديان «ظهر للنصارى مقيدًا بالمسيح والرهبان، كما أخبر عنهم في كتابه»[47]، وظهر متجليًا «لليهود في العزير والأحبار»[48]، كما أنّ الله هو المتجلي «للمجوس في النار، وللثنوية في النور والظلمة، وظهر لكل عابد شيء في ذلك الشيء من حجر وشجر وحيوان ونحو ذلك[49]».

ويعتقد الأمير أنّ كل عبادات الخلق ودياناتهم هي في الأخير من تجليات الحق «أنّ الحق تعالى له التجلي في صور الاعتقادات، فلا ينكر عند المعتقد لتلك الصورة، فإذا تجلى في تلك الصورة لغير معتقدها، تعوذ منه وأنكره وقال لست بربي والعارف الكامل لا ينكره في أي صورة تجلى فيقر به في كل صورة»[50] في تصور الأمير عبد القادر الجزائري «هو تعالى المتجلي لعبده في عين اعتقاده كان ما كان ذلك المعتقد، إذ لا يشهد العبد من الحق إلا علمه واعتقاده، ولكن بين من اعتقد في إلهه الإطلاق وبين من اعتقد في إلهه التقييد بون بعيد»[51]، وأنّ إله الأمير المطلق اللامحدد وسعت تجلياته كل اعتقادات الخلق» فإنّه سبحانه وسع اعتقاد كل مخلوق في صورة إنّها الله فاعتقدها ونسب الألوهية إليها، فإنّه تعالى هو الذي تجلى لذلك المخلوق باسم إلهي في تلك الصورة[52]. «بل إنّ الأمير يرى أنّ العقيدة في الله تختلف باختلاف البشر» فما اجتمع اثنان في معتقد واحد من كل وجه، وإن انتسبوا إلى طريقة واحدة من سائر الملل والنحل، على تعدادها وكثرتها، التي لا يحصيها إلا الله تعالى[53]»، وحسب تصور الأمير عبد القادر فإنّ الخطأ الأعظم الذي وقع فيه أصحاب الأديان هو في حصرهم للإله وفي تقيدهم له «فما كان الخطأ إلا في حصر الإله وتقييده بتلك الصورة»[54]، فكل أهل الأديان والاعتقادات عند الأمير يعبدون إلهًا واحدًا، لكن مشكلتهم الكبرى تكمن في جهلهم بتعيينات الحق وظهوراته من جهة، وجهلهم لإطلاقه من جهة أخرى «فالمقصود بالعبادة واحد من جميع العابدين،

46 الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، ج2، ص 202

47 الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، الموقف السابع والأربعون بعد المائتين، ج1، ص 445

48 نفسه.

49 نفسه.

50 نفسه.

51 المواقف، ج2، ص 205

52 المواقف، ج2، ص 369

53 المواقف، ج2، ص 400

54 المواقف، ج2، ص 342

ولكن وقع الخطأ في تعيينه، فإلهنا وإله اليهود والنصارى والصابئة وجميع الفرق الضالة واحد»[55] «وما شقي من شقي إلا بكونه عبده في صورة محسوسة محصورة»[56].

الخطأ في تعيين الإله والخطأ في حصره وتقييده، هي وصفة الأمير التشخيصية لأمراض الديانة اليهودية والمسيحية، وحتى الإسلامية المتمثلة في المذاهب الكلامية المسلمة، فالخلل عند أهل الأديان، هو في عدم قدرتهم على استيعاب مطلق تجليات الحق، وفي حصرها في المنظومات الدينية المسماة عقائد مقدسة، واختلاف الأديان عند الأمير هو بسبب اختلاف الأسماء الإلهية لأنّه «لما تعددت ظهورات المقصود بالعبادة، تعددت الملل والنحل»[57]، وكما أنّ الأسماء الإلهية لا تنحصر، فالاعتقادات والأديان أيضًا لا تنحصر، انطلاقًا من أنّ «الأسماء الإلهية التي هي منشأ تكثر الاعتقادات، بمثابة الشُعب التي لا تنحصر، فكما أنّ الأسماء الإلهية لا تنحصر، فكذلك الاعتقادات لا تنحصر، لأنّ كل اعتقاد في كل مخلوق أثر اسم من الأسماء الإلهية، يتجلى به الحق على ذلك المخلوق[58]».

وخصوصية الملة المحمدية من بين جميع الملل الأخرى في نظر الأمير الجزائري هي في عقيدة التجليات، التي تعني إطلاق الإله في عين تقيده، وتقيده في عين إطلاقه، والتي تظهر عند ورثة هذا النبي العربي من الصالحين وخُلّص الأولياء «فظهر للمحمديين مطلقًا عن كل صورة، في حال ظهوره في كل صورة، من غير حلول أو اتحاد أو امتزاج»[59]، كما أنّ خصوصيتها في خصوص تجلي الله لها «أنّ تجليه لنا غير تجليه في نزوله إلى النصارى، غير تجليه في نزوله لليهود، غير تجليه لكل فرقة على حدتها[60]».

خاتمـــة

تُمثل نظرية (التجلي والظهور) أوجَ ما وصل إليه الفكر العرفاني والصوفي في الإسلام، على يد الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي الحاتمي الأندلسي تنظيرًا، وعلى يد تلميذه ووارثه الروحي وناشر علومه الأمير عبد القادر الجزائري ممارسةً وتطبيقًا، وأضحت نظريته في التجلي مدرسة كاملة مكتملة تُنبئ عن دقّة فائقة في قراءتها لنسق الوجود كلّه، وتُعد مفتاحاً لحل إشكاليات كثيرة مطروحة على جميع المستويات خاصة على مستوى المعتقدات وحوار الأديان والحضارات والثقافات.

55 المواقف، ج2، ص 400
56 المواقف، الموقف السابع والأربعون بعد المائتين، ج1، ص 445
57 المواقف، ج1، ص 445
58 الموقف التاسع، ج1، ص 55
59 المواقف، ج2، ص 398
60 الموقف السابع والأربعون بعد المائتين، ج1، ص 445

وبعد تجوالنا السريع والمقتضب عند بعض محطات عقيدة التجليات الصوفية الأكبرية، أمكننا أن نخرج ببعض الاستنتاجات والاستخلاصات التي يمكن تلخيصها فيما يلي.

1. نظرية التجليات الصوفية ليست فقط نظرية زهدية تقشفية، أو رؤيـة فرارية وانزوائية عن المجتمع وعن الواقع كما يعتقد الكثير، بل التصوف هو قبل كل شيء رؤية لله والإنسان والعالم *weltanschauung*.

2. التصوف هو علم التزكية الوارد ذكره في الكثير من آيات القرآن الكريم.

3. التصوف هو عمق الإسلام وجوهره، والتجلي هي جوهر التصوف وعمقه.

4. بحسب الرؤية التحليلية الصوفية تكون عقيدة التجليات هي العقيدة القرآنية الإسلامية الجامعة، وما عداها من العقائد فهي عقائد حصرية تقييدية.

5. عقيدة التجليات الصوفية لها مشروعية دينية معتبرة، ولها تأصيلٌ صَلبٌ داخل في النص القرآني أولاً، وفي النص الحديثي ثانيًا.

6. عقيدة التجلّي هي التحقق بمقام الربانية القرآني "لٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ».

7. عقيدة التجلّي هي الترجمة العملية الإجرائية لمقام الإحسان المذكور في القرآن الكريم والسنة النبوية، والإحسان هو أعلى المقامات في الدّين الإسلامي وأسماها وأعمقها بعد مقام الإسلام ومقام الإيمان.

8. أكبر مُنظر لعقيدة التجلي في الإسلام هو الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي الحاتمي الأندلسي، والأمير عبد القادر الجزائري هو واحد من أكبر تلاميذ مدرسته.

9. عقيدة التجلي ترفض المفارقة، وتستحضر المحايثة بين الحق والخلق، وتنطلق في بنيتها من قاعدة "ما في الوجود إلا الله".

10. عقيدة التجليات، هي عقيدة إطلاقية تحاول إطلاق الحق وتسريح الحقيقة، وتنفر من كل العقائد الحصرية والاختزالية *réductionniste*.

11. لفهم عقيدة التجليات وتفهمها يستَوجِبُ ويفتَرِضُ على المسلم المرور عبر طريق التسليك والتطهير الروحي والترقي في مدارج التصفية ومعارج التزكية من خلال علم الأخلاق الخاص بالمدرسة الصوفية.

12. عقيدة التجليات الصوفية تكسر كل الحواجز وترفع كل عوائق الحوار والتفاهم بين الأديان والحضارات.

13. عقيدة التجلي هي عقيدة عبر- دينية *trans-religieuse* تتفق مع كل الأديان، ومع كل المعتقدات التي عرفها الخلق إسلامية أو يهودية أو مسيحية أو غير ذلك، وفي الوقت نفسه تتجاوزها جميعًا.

14. عقيدة التجلي هي هوية عابرة للملل والنحل، تقف عند تقاطع الطرق بين الأديان والمذاهب والثقافات.

15. عند صوفية وحدة الوجود الحقيقة هي صورة الحق، والحق عندهم يرى في كل صورة وكل معتقد وفي كل دين.

16. كل عبادات الخلق ودياناتهم في المنظور الصوفي التجلياتي هي في الأخير تجل خاص وجزئي من تجليات الحق المطلقة.

17. في العقيدة الصوفية التجلياتية، الخلق كلهم يعرفون الله ولو بوجه من الوجوه، لأنّ المعرفة بالله ثابتة للكل بقدر استعداداتهم، فإنّ الله ما خلق الخلق إلا ليعرفوه.

18. بحسب رؤية التجليات الصوفية إنّ الله ظهر متقيدًا ومتجليًا عند كل أصحاب الأديان، ظهر للنصارى مقيدًا بالمسيح وبالرهبان والقديسين، وظهر متجليًا لليهود في العُزير والأحبار، وظهر للمجوس في النار، وللثنوية في النور والظلمة، وظهر لكل عابد شيء في ذلك الشيء من حجر وشجر وحيوان ونحو ذلك، وهذا التجلي الإلهي المقيد، عند اليهود والمسيحيين وحتى عند الوثنين، هو الذي اعترف به ابن تيمية وأعطاه ترسيمًا دينيًا توحيديًا سماه توحيد الربوبية.

19. مشاهدة بعض الحق عند أهل الأديان والمعتقدات ليس معناه الإيمان بتكافؤ الأديان الناسخة والمنسوخة.

20. الخلل الأكبر عند أهل الأديان، وفق منظور نظرية التجليات الصوفية هو في عدم قدرتهم على استيعاب مطلق تجليات الحق.

21. كل أهل الأديان والاعتقادات يعبدون إلهًا واحدًا، لكن مشكلتهم الكبرى تكمن في جهلهم بتعيينات الحق وظهوراته وتجلياته من جهة، وجهلهم لإطلاقــه من جهة أخرى.

22. اليهودية والمسيحية وسائر المعتقدات في المنظور الصوفي هي اختزال وحصر وقصور في فهم عقيدة تجلي الله الأكبـر الأشمـل في الوجود كله، واستيعابها.

23. في عقيدة التجليات الصوفية كل الأديان ليست في الأخير سوى أيديولوجيات واجتهادات بشرية غير مقدسة صنعها رجال الدين من كل الملل والطوائف والأديان.

24. عقيدة التجليات الصوفية تُفَرِقُ بين حقيقة الأديان المنزلة الموحَدة الموحِدة، وبين الأديان المبدلة المؤولة.

25. سر تعدد الاعتقادات والأديان حسب نظرية التجليات هو بسبب تعدد الأسماء الإلهية، فكما أنّ الأسماء الإلهية لا تنحصر ولا تحد ولا تعد كذلك الاعتقادات والأديان.

26. عقيدة التجليات الصوفية تقع خارج الأنساق المغلقة، وهي عقيدة مفتوحة جامعة لشتات الاعتقادات والأديان والمذاهب والطوائف.

27. حوار الأديان يجب أن يبدأ أولاً بتوضيح التصور عن الله والعقيدة فيه وتصحيحهما.

28. إله عقيدة التجليات الصوفية هو إلهٌ مطلقٌ ومقيدٌ معًا، منزهٌ ومشبهٌ معًا، جمالي وجلالي، عينُ الأشياء وليست الأشياء عينه.

29. إله الأديان والمذاهب والطوائف محدودٌ محصورٌ مقيدٌ، لذلك جاءت الحقيقة عندهم محصورة وضيقة ومحدودة.

30. تَبَنِي هذه العقائد الحصرية الظاهرة في الأديان والطوائف أدى إلى ظاهرة الدوغمائيات والتشدد في الدين، وإلى التقييد على الخلق وحصر الحق واحتكار الحقيقة، وإلى الاختصام الدّاخلي والحروب الطائفية والحزبية، وإلى التأسيس للاستبداد الفكري والعقائدي، وإلى ضعف الخطاب الإسلامي العام، في مقابل هيمنة الخطاب المذهبي.

31. نظرية التجلي الصوفية تشكل منطلقًا عقائديًا علميًا عمليًا أنتروبولوجيًا تأسيسيًا، يمكن أن يساعد المنظرين والمفكرين على الخروج من نفق مشاكل الهويات المغلقة، ومن كهوف الإيديولوجيات الدينية المميتة – أو الميتة- التي تعاني منها البشرية في الوقت الراهن.

32. نظرية التجلي الصوفية يمكن أن يستثمرها المسؤولون على التخطيط الاستراتجي والأمني في وزارات التربية والتعليم والشؤون الدّينية والاجتماعية.

33. نظرية التجلي الصوفية يمكن أن تطرح بمثابة حل لمشكلة الانتماء العقائدي، وتوظف في عملية نشدان وترسيخ الأنموذج والمثل التربوي والأخلاقي لدى الأفراد، وفي عملية تصويب الوعي الدّيني الإسلامي وإعادة توجيهه وصناعته.

34. نظرية التجلي الصوفية يمكن أن تدرج ضمن البدائل والخيارات الاستراتجية في سياسات المعرفة وفي حوار الحضارات والمصالحة بين الثقافات.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المعروف بصحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة 1407هـ1987م، نشر دار ابن كثير، اليمامة بيروت.
- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، سنة الطبع 1374هـ.
- أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات، كتاب الأحكام، تحقيق عبد الله دراز ومحمد عبد الله وعبد السلام محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة السابعة، 2005م.
- أبو إسحاق الشاطبي، الاعتصام، الدار الأثرية، الطبعة الثانية، 2007م.
- ابن تيمية، مجموع الفتاوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1421هـ، 2000م.
- محي الدين ابن عربي، الفتوحات المكية، تصوير دار صادر بيروت عن طبعة بولاق، القاهرة، سنة 1293هـ.
- محي الدين ابن عربي، ترجمان الأشواق، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1425هـ - 2005م.
- محي الدين ابن عربي، كتاب الكتب، دائرة المعارف العثمانية، الطبعةالأولى، حيدر أباد الدكن، 1367هـ، 1948م.
- محي الدين ابن عربي، فصوص الحكم، تحقيق أبو العلاء عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1980م.
- عبد الرحمن ابن خلدون، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر سوريا، الطبعة الأولى، 1417هـ، 1996م، ص 54
- جلال الدين السيوطي، تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية، تحقيق عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2006م بيروت، ص 45
- الأمير عبد القادر، رسالة إلى الفرنسيين (ذكرى العاقل وتنبيه الغافل)، تحقيق الأستاذ عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، 2006م.
- الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، تحقيق عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2004م، 1425هـ.
- سعاد الحكيم، المعجم الصوفي الحكمة في حدود الكلمة، دندرة للطباعة والنشر، 1981م.
- جواد المرابط، التصوف والأمير عبد القادر، وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007 م.
- عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق محمد بهجة البيطار، الطبعة الأولى، 1961م.
- يوسف النبهاني، جامع كرامات الأولياء، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، مركز أهل سنة بركات رضا (الهند)، الطبعة الأولى، 2001م، 1322هـ.

- روجي غارودي، في سبيل حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا، عويدات للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة 1999م، ص 15
- إيلي سالم، دورة ورؤية، مركز الدراسات الإسلامية المسيحية، جامعة البلمند، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، 1996م، ص 36
- الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثامنة، 2002م، بيروت، الدار البيضاء، 1995م، ص 251
- مجلة مسالك، العدد الثاني، جوان جويلية 1998
- عبد الباقي مفتاح، نظرة الأمير عبد القادر إلى الآخر، مجلة أديان، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، العدد الأول 2011م.
- René guenon, apercus sur l'Esotérisme islamique et le taisme Gallimard, 1973.
- Ahmed bouyerdene, L'émir Abd el-Kader à Pau: exemples d'un dialogue religieux au XIXe siècle», article dans Studia Islamica, février 2001.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2016

All rights reserved © 2016